الجيولوجيا -- وجد في كهوف قبرص عظام نوع صغير من فرس النهر ليس اكبر من الخنزير. ووجد فيل كبير مطمور بالثلج في يكوتسك بسيبريا سنة ١٩٠٢ فاتي بهِ في العام الماضي الى دار التحف في بطرس برج وقد وجد سليماً وفمهُ مملوء نباتاً والظاهر انهُ كان يرعى على جرف هار فسقط بهِ الى وادٍ عميق طمرهُ الثلج فيهِ واماتهُ وحفظهُ من البلى هذه السنين الكثيرة الى ان وجد الآن . واهم المباحث الجيولوجية كان في القطر المصري وقد وصفناهُ في حينهِ

الامير بشير الشهابي

اتضح مما في الجزئين السابقين ان الامير بشيرًا لم يكن مستقلاً في ولاية لبنان بل كان لوالي عكاء السلطة المطلقة عليهِ يوليهِ ويعزلهُ كيف شاء وان تكن الدولة قد صرّحت لهُ بعض الاحيان انهُ مستقلٌ في الولاية التي كانت للامير فخر الدين المعني . ولو شاء الاستقلال ما تعذّر عليهِ لانهُ مما يميل اليهِ اللبنانيون بالفطرة كما يميل اليهِ سائر اهالي الجبال وقد اعربوا عن ذلك مرارًا واشترطوا عليهِ مرةً انهم يقبلونهُ والياً عليهم بشرط ان لا تكون ولايتهُ من الدولة . اما هو فكان على رفعة قدرهِ وعلو همتهِ يقف امام ولاة الدولة كاصغر الصعاليك ويخاطبهم مخاطبة العبد لمولاهُ وهم يخاطبونهُ مخاطبة السيد لعبدهِ الاَّ اذا ارادوا ان يتملقوهُ للاستعانة بهِ على قتال او لاستخدامهِ في ابتزاز اموال الرعية فانهم كانوا يخاطبونهُ حينئذٍ بشيء من التبجيل ويكرمونهُ اذا اقبل اليهم . وكان سليمان باشا اليهم عريكة من هذا القبيل فتوفي سنة ١٨١٩ وطلب الولاية بعدهُ عبد الله باشا بن علي باشا الخزندار فبعثت اليهِ الدولة بفرمان الولاية وحضر منهُ كتاب الى الامير بشير يخبرهُ فيهِ بان الولاية آلت اليهِ ويامرهُ بان يبادر ويحتفل بيث هذه البشرى في انحاء الجبل . ففعل الامير كما امرهُ عبد الله باشا وبعث اليهِ بالهدايا من الخيول المطهمة والسروج المذهبة فاجابهُ بارسال خلعة الولاية اليهِ وارسل منشورًا الى اهالي لبنان رأينا ان نثبت صورتهُ هنا كما وردت في تاريخ الامير حيدر الشهابي لانها مثال لما كان يرد من نوعها مما تجود بهِ قريحة الكتّاب ولو خالف الواقع وهي

"صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول والاتباع . الى افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام ذي التدر والاحترام ولدنا الامير بشير الشهابي دام مجدهُ على الدوام . والى الامراء والمتقدمين والمشايخ وشيوخ العقل والعقال وارباب الكلام والمباشرين والوجوه والرعايا في جبل الشوف وكسروان وتوابعها على وجه العموم ليعلموا انهُ غير خاف عليكم التكريم الرباني والامداد

الصمداني بفيض مراحم حضرة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ولي نعم العالم . معدن الراحة لبني آدم . ظل الله على العالمين خلد الله سرير سلطنته على مدى الايام والسنين . وانعطافه علينا برتبة الوزراء السامية وتوجيه ايالة صيداء وطرابلس الشام وقيادة المحمل الشريف ومحصلية لاذقية العرب ولواء غزة هاشم والرملة ويافا واللد وجميع الاملاك التي كانت لسالفنا المرحوم المبرور المغفور لهُ الحاج سليمان باشا طاب ثراهُ مع الانعام علينا بكامل متخلفاته ومتروكاته . فسبحان الله تعالى شكرًا على هذه المنة العظيمة والموهبة الجسيمة . وبسطنا اكف التضرع والابتهال . الى حضرة الملك ذي الجلال بدوام دولته الزاهرة . وتأييد صولته الفاخرة على ممر الايام والليال . وعلى الله الاجابة والقبول فانهُ خير مسؤول . واكرم مامول . والآن قد قررنا وابقينا التزام جبل الشوف وكسروان وما يليهما على الامير الموى اليهِ لاستقامته ونجابته وكفايته ودرايته فليكن ذلك معلومًا عندكم وتكونوا تحت طاعته وتتردوا عن يده الاموال الاميرية . والمطالب السلطانية . وتتماطوا اشغالكم واعمالكم آمنين مطمأنين وتواظبوا على بذل الادعية الخيرية لحضرة مولانا السلطان نصرهُ العزيز الرحمن . وتخبر الامير الموى اليهِ انهُ يجب عليك الاهتمام براحة العباد . وعمار البلاد والاجتهاد في حسن الضبط والربط . واقامة العدل والانصاف . وابطال الجور والاسراف . وليكن كل ما تأمر بهِ وتتصرف فيهِ مطابقًا للشرع الشريف . وموافقًا للقانون المألوف من كل تالد وطريف . والآن لاجل رفع شانك على اقرانك قد ارسلنا اليك خلعة فاخرة من ملابسنا عن يد افتخار الاماجد والاعيان خزندارنا حالاً محمد آغا زيد مجدهُ . ليقتضي ان تبادر الى ملتقاها وتتسربل بها . وتتلو مرسومنا هذا علنًا على رؤوس الاشهاد . وان شاء الله تكون هذه السنة ابرك السنين على جميع العباد . والجميع لا يشاهدون منا الا كل ما يسر الخاطر ويقر الناظر . وبناء على ذلك قد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا من ديوان محروسة دار الجهاد فاقرأوهُ واعتمدوهُ غاية الاعتماد"

ويقال انهُ لما حضرت الخلعة الى الامير بشير التقاها مسافة غلوة كما جرت العادة وتسربل بها . ولعلها كانت جبةً لا تساوي دينارين والذي بعث بها اليهِ لم يكن امنع منهُ جانبًا ولا اقوى صولةً ولكن السيادة فطرية في الترك وهم اقدر من العرب على استعمالها

ومن الذين هنأوا الامير بشير بخلعة الولاية هذه ولدهُ الامير امين فقال من قصيدة حسناء

ألا ايها المولى الذي بفعاله غدا ثغرُ هذا الدهر باهي التبسم
سليلك يهديك التهاني بخلعةٍ تميس بدلِّ الناعم المتنعم
جليلة قدر ذات عزٍّ وبهجة مقلدة عقدي جمالٍ ومغنم

تزيد افتخاراً في لقائك ورفعةً وتهتزُّ شوقاً هزة المترنم

ولم تمضِ سنة على وصول الخلعة حتى وصل امر من عبد الله باشا بطلب مبلغ طائل من المال فأسقط في يد الامر وارسل بطرس كرامة الى عكاء يتوسل اليهِ حتى يعفيهُ من ذلك او يمهلهُ الى ان يتيسر لهُ جمع المال المطلوب . فغضب عبد الله باشا وصرف بطرس كرامة وامر بارسال الجنود الى حدود البلاد من الارناووط والدلاتية والهوارة وهي اسماء تهلع لها قلوب اللبنانيين لما كان يأتيهِ اولئك الطغام من الكبائر . وامر بالقبض على كل من يوجد في بيروت وصيداء من اهالي لبنان وباغلاق ابواب المدن في وجوه اللبنانيين . فارتاع اهالي البلاد من ذلك وعظم الامر على الامير بشير فاعاد بطرس كرامة الى عكاء واعدَّ عبد الله باشا بتأدية المال المطلوب وكتب لهُ صكًّا بالف الف درهم يدفعها في شهرين وهي عشرة آلاف جنيه ولكنها بمثابة مئة الف جنيه الآن او اكثر لان ثمن اقة الحرير كان حينئذٍ عشرين غرشاً او ثلاثين . واضطرَّ ان يقترض المال من التجار واقترض من الشيخ بشير جنبلاط ميتين وخمسين الف درهم . ولم يكد يتم ارسال هذا المال حتى جاءهُ كتاب من عبد الله باشا يقول فيهِ انهُ اهدى الى رجال الدولة كل ما كان عندهُ من التحف المجهورة ولم يبقَ عندهُ ما يليق اهداؤهُ وانهُ اتخذهُ كبعض اهل بيتهِ ولذلك فهو يطلب منهُ خنجرين مجهورين أهدبا اليدِ واحداً منهُ وواحداً من سليمان باشا فارسلهما اليهِ حالاً . وما مضى على ذلك ايام يسيرة حتى ورد منهُ كتاب آخر يطلب فيهِ خمسين الف ريع دينار فندقلي نفقة جيب لهُ . فطلب الامير هذا المال من اهالي البلاد فاجتمع زعماؤهم وتحالفوا على ان لا يؤدوا الاَّ المال المقرر ولا يؤدوهُ الاَّ في ميعادهِ ولا يؤدوا درهماً من تلك الزيادات وكتبوا الى عبد الله باشا ان الامير ظلمهم وارهقهم بمطالبهِ الكثيرة والتمسوا منهُ ان يبقوا على عوائدهم القديمة . فاجابهم الى ما طلبوا وامرهم ان لا يرفضوا لاميرهم

الدولة تلج على ولاة الايالات في طلب المال والولاة يلجون على حكام الاقاليم وهؤلاء يطلبون المال من الاهالي فيأمرهم الولاة ان لا يدفعوا . كذلك تكون السياسة القويمة

فلما رأى الامير بشير ان والي عكاء يلجُّ في طلب المال ويحرض اهل البلاد على عدم دفعهِ عزم على ترك الولاية وكتب الى عبدالله باشا بذلك وقام باولادهِ واعوانهِ وسار طالباً بلاد حوران وانشد بطرس كرامة في ذلك

رحلنا وخلَّينا المنازل بعدنا تشير بكفٍّ ابيض وبنان

ابينا احتمال الذل او نهلك الورى فقمنا وخلَّينا بغير طعان

ولكن اجتمع اليهِ قبل خروجهِ من الجبل الامراء اللمعيون ووجوه البلاد وتحالفوا انهم لا يقبلون حاكماً عليهم غيرهُ. وكان في البلاد حزب ناقم عليهِ وراغب في الولاية ولدُ زعيمان من آل شهاب الامير حسن والامير سلمان فكتب هذا الحزب يلتمس الولاية لهما

وسرَّ عبدالله باشا بخروج الامير بشير من لبنان لانهُ كان يعلم ان الجزار قضى عمرهُ وهو يحاول خلعهُ من الولاية فلم يستطع. وارسل خلعتي الولاية الى الامير حسن والامير سلمان الاَّ انهما لم يستطيعا القيام بها. وكتب الامير بشير وهو في جهات حوران الى عبدالله باشا يسترضيهِ فاجابهُ انهُ راضٍ عنهُ وحالما تبدر بادرة من الامرين يعزلهما ويعيدهُ الى الولاية

واضطرمت نار الحرب حينئذٍ بين الدولة العثمانية والروس ودعت الحال الى حفظ الثغور فكتب عبدالله باشا يستدعي الامير بشيراً اليهِ وامر الحكام الذين يمر بهم في طريقهِ ان يكرموهُ ولعلهُ اراد ان يهدد الامرين بهِ لانهُ لما وصل الى عكاء كان المشايخ رسل الامرين فيها فزعم عبدالله باشا ان يتعهدوا لهُ بالف الف درهم ومئة الف درهم على عجل فتعهدوا بذلك وكتبوا على انفسهم صكاً بهِ لكن الامرين عجزا عن جمع هذا المال ورضيا ان يتنازلا عن الولاية ويتركا اختيار الوالي لاهل البلاد فحضر الامير بشير الى دير القمر واجتمع اكثر الزعماء من امراء ومشايخ واعيان وتوافقوا وتواثقوا وكتبوا عهداً بينهم انهم يكونون يداً واحدة في مصلحة البلاد والذي تختارهُ اهالي البلاد حاكماً من بني شهاب يقبلونهُ حاكماً عليهم ويطيعونهُ ويؤدون الاموال السلطانية اليهِ وحينئذٍ طلب الامير ان من الامير بشير ان يكون هو الحاكم فابى محتجاً بانهُ يريد الراحة من متاعب الولاية وسألهما ان يبقيا فيها. وتدل القرائن على انهُ خاف ان يطالبهُ عبدالله باشا بما تعهدا بهِ من المال. وطلب عبدالله باشا المال من الامرين فاعتذرا بان البلاد خرجت عن طاعتهما لوجود الامير فيها ورأى عبدالله باشا ان ليس للولاية خيراً من الامير بشير فاعاد الولاية اليهِ وكتب اليهِ انهُ يبقي الولاية لهُ ما بقي حيّاً. واخلص عبد الله باشا الوداد للامير بعد ذلك واستعان بهِ على قمع جنود درويش باشا والي دمشق فابلى اللبنانيون بلاءً حسناً وانشد بطرس كرامه يهنيء الامير بظفرهِ فقال

سلِ الخطيَّ والبيض الصقالا فهنَّ عن الرجال كشفن حالا
وسلْ كوم النزال غزاة حرب بوادي التيم تشتعل اشتعالا
ويوماً اقبلت رايات قيس يقدن الخيل تعترك الجمالا
بشبان يرون الموت عزّاً وشيب طالما اقتحموا النزالا
ونصر الله صاحبها يميناً وآسيه العز قارنها شمالا

تحوط بهِ الكماة على عتاق مضمرة يسابقن الخيالا
لديهم من سراة الشوف اسد اذا تبتوا حسبتهم الجبالا

ولكن درويش باشا رفع شكواهُ الى الباب العالي على عبد الله باشا مدَّعيًا انهُ منع اهالي نابلس عن تأدية الاموال المرتبة عليهم لاجل قيام الحج فامرت الدولة مصطفى باشا والي حلب ان يقوم الى دمشق ويعاون درويش باشا على عبدالله باشا فاضطر الامير بشير ان يغادر البلاد ويهاجر الى الديار المصرية كما سيجيء

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا لهممهم وتشحيذًا للاذهان ، ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المتنطف ونراعي سبق الادراج وعدمهُ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوَّلة

ردٌّ على ردٍّ وانتقاد

وقفتُ على ما ادرجهُ الاديب باحث مستفيد ومحمد رشيد افندي ردًّا وانتقادًا عليَّ في مقالتي منزلة الشعر من التاريخ فاجبت

ان الاديب (باحث مستفيد) قد اوردتُ لهُ حججًا قاطعة توجب عليهِ خلع نقاب الخفي محياهُ فلا دفع حجة بحجة ولا قام بما اوجبت عليهِ الحجة وهذا سبيل لم ارَدْ لاحدٍ من ارباب المناظرة ولهُ الفضل ان اثبت جوازهُ في آداب البحث

ثم تكلم عن منزلة مقالتي وهذا كلام لا يُوجَّه اليَّ بل الى اصحاب الصحف واخدان الادب الذين اثنوا عليها ورحَّبوا بها فان رأى مؤاخذتي بانها حلَّت لديهم محلًا كريمًا فما اولاني بان اقرَّ بصدق مدعاهُ

وليعلم ان كثيرًا من معارفي يدَّعون انَّ نقابهُ الوهمي انما هو مرخىً على محياي وانني اكتب ما اكتب تحت هذا النقاب تشويقًا للخواطر تنويهًا بفضل مقالتي فان خضت معهُ غمار البحث